المتن

وكل شيء في القرآن تظن فيه التناقض فيما يبدو لك فتدبره.

الشرح

كل شيء في القرآن تظن فيه التناقض فيما يبدو لك فتدبره هذه قاعدة مهمة جدًا ونردفها بقاعدة أخرى لا تلق لها بهذا البحث لكنها مهمة أيضًا وهي: كل شيء في القرآن تظن فيه التناقض فاعلم أن هذا الظن خطأ بلا شك ،لأن التناقض مستحيل ،فلا تجتمع المتناقضات في القرآن أبدًا.

القاعدة الثانية: كل شيء من الواقع تظن أن القرآن يخالفه فهو ظن خطأ.

*مثال ذلك : قوله تعالى " أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ*وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ*وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ*وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ"[الغاشية:17-20].

فإن قال قائل: كيف سطحت؟ ونحن نشاهد الأرض الآن كروية، فهل القرآن يناقض الواقع؟

الجواب:

"قال قائلٌ كيف سُطحت ونحن نُشاهِدُ الأرضَ أنها كروية وليس عندنا إشكالٌ في ذلك أبدًا فالقرآن يُناقضُ الواقع؟ نقول هذا مستحيلٌ.مستحيل أن القرآن يُناقض الواقع أبداً قال اللهُ تعالى:" تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا" [الفرقان:61]. وقال: " وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا "[نوح:16] ونحنُ نعلمُ أن أهل الأرض وصلوا إلى القمر بدون أن ينالهم شيءٌ مع أن الذي يقربُ من السماء وإيش يُصاب؟ بالشُهب التي تحرقه كما قال تعالى عن الجن "وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ

لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا "[الجن:9] ؛ والنبي -صلى الله عليه وسلم- أشرَفُ الخلقِ ومعه أشرفُ الملائكةِ ما استطاع أن يدخل السماء إلابعد استئذان وإذنٍ.

إذن كون القمر في السماء يُخالفُ الواقع فهل نُكذبُ الواقع أم ماذا نصنع؟

*نقول: الواقع لايُمكن تكذيبه ولوأن أحدًا كذبَ الواقع على أن ظاهر القرآن يُخالفه لكان أكبرَ مُسيءٍ إلى القرآن ولالأ؟ لأن الكفار يقولون:إن هذا القرآن يُخالفُ الواقع.ما يمكن.إذن القرآنُ الذي يُخالفُ كاذبٌ لأن الواقع مايكذب؟.إذا كان الواقعُ لا يكذب يكون القرآن هو الكاذب وحينئذٍ يكون الذي يقول ذلك مُسيئًا إلى القرآن وإلى الإسلام أعظم إساءةٍ وهو لايدري.

طيب ماذا نقول عن الآية الأولى"وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ" مع أن الواقع أنها كروية؟ لا إشكال فيه. إيش نقول؟ لايمكن أن يكونَ المرادُ بالآية مافهمتَ من أن الأرضَ ممدودة ولكنها سُطِحت أي جُعلت كالسطح باعتبار مصالحُ الخلقِ كلُّ الناسِ بمنطقتهم يعتقدون أن الأرض إيش؟ مسطحة لأنها كبيرة الحجمِ وكرويتُها لا تَبِينُ إلا بقَدْرٍ كبير فهو إذن مسطَّحٌ ونقولُ له اقرأ: "إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ*وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ*وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ*وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ"[الانشقاق:1-4].

متى هذا؟يوم القيامة.قال اللهُ-سبحانه وتعالى-"إذا الأرضُ مُدت" هي الآن غيرُ ممدودة إذن فهي مطوية مكورة وحينئذٍ يتبينُ لنا أنَّ القرآن لايُخالف الواقع.

*وكذلك بالنسبة للقمر :" تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا "[الفرقان:61].

نقول إنَّ اللهَ جعل في السماء أي في العلو" تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجًا" أي في العلو ولايلزم أن يكون العلو هو السماء ذاتُ الأجرام "وَقَمَرًا مُّنِيرًا ".

بعض العلماء يقول إنَّ القمرَ له وجهان وجهٌ إلى الأرض فيه نورٌ ووجهٌ إلى السماء فيه نورٌ فهو ينور على السماء ويُنور على الأرض فيكون نورًا في السماء ونورًا في الأرض وبعض العلماء يقول"فيهن" أي في جهتهن أي في جهة العلو.

على كل حال هاتان القاعدتان مهمتان وهما:

1-أولًا :أن القرآن لايمكن ان يقع فيه التناقض فإن ظننتَ أن فيه تناقضًا فالظنُ خطأ. 2-ثانيًا :القرآن لايمكن أن يُخالف الواقع فإن ظننتَ أنه يُخالفُ الواقع فالظنُ خطأ. في المسألة الأخيرة:يبقى عندنا كيف الخطأ؟ هل هو في الواقع أو في مخالفة القرآن له؟نعم في مخالفة القرآن له؟ مايمكن يُخالفه لكن قد تظن أن الواقعَ يُخالفهُ وهوفي الواقع لايُخالفه فحينئذٍ يكون هذا الظنُ الخاطئُ.

"معية" هي ذاتية لكنها ليست في الأرض كما يقول أهلُ الاختلاط نقول هو نفسه معنا لكنه في السماء, حتى النزول إلى السماء الدنيا نقول إنه ينزل بذاته كما قال العلماء أيضًا ولكن هذا النزول ليس كنزول المخلوق أنه إذا نزل يخلو منه العرش أو يكون شيءٌ من السموات فوقه. وعلينا أن نؤمن بهذا ولا نتعرض لهذه التقديرات.

هذه التقديرات ما حدثت إلا أخيرًا والمسلمون في عهد الصحابة أخذوا القرآن بظاهره وتركوا هذه التقديرات ماقالوا: يخلو منه العرش أو لايخلو ولاقالوا إنه معنا يكون في الأرض لأنهم عرفوا أنه مُنزَّهٌ عن ذلك. فالواجب علينا أن نأخذ القرآن بظاهره.

الإمام أحمد أنكر على ابنه عبد الله مسألةً دون هذا.ل ما قال:يا أبتي إن الرسول يقول في رمضان تُصفد الشياطين ونحنُ نرى الإنسان يُصرع يصرعه الشيطان كيف هذا ؟ فقال له: أعرض عن هذا هكذا جاء الحديث. نهاه أن يُعارض الحديث بالواقع ماراح

يتأول الحديث ليوافق الواقع. قال أعرض عن هذا هكذا جاء الحديث. وهذا الواجب علينا يا إخوان الواجب علينا فيما جاءت به النصوص في أمورٍ لاندركها نحنُ أن نُسلم ونقول:سمعنا وآمنا وصدقنا كون الواحد يقول لماذا ولماذا يعني مثل ماقال بعض الإخوان بعض الناس بعدما تفتح العلم الكوني قالوا إذا كان اللهُ ينزلُ إلى السماء الدنيا في ثلث الليل لازم أن يكون دائمًا في السماء الدنيا لأن الثلث لايزال في السماء الدنيا نقول: أعرض عن هذا ياأخي لا تُقدِّر هذا الشيء. أنت ما دام الثلث عندك فالنزولُ حاصلٌ وإذا طلع الفجر انتهى النزول هكذا قل هكذا و أؤمن بالله هكذا أيضًا كلُ شيءٍ أضافه اللهُ لنفسه فاعلم أنه مُضافٌ إلى نفسه حقيقة ولايحتاج أن نقول بذاته كما قال ابنُ القيم في"مختصرالصواعق" قال:"كلُ ما أضافه الله إلى نفسه فهو يعني به نفسه ولا نحتاج أن نقول بذاته إلا إذا أُلجِئنا إلى ذلك".مثل مايجئ واحد يُجادل يقول"ينزل إلى السماء الدنيا": يعني ينزل أمره نقول لأ ينزل بذاته وإلا كان المفروض ألا نقول بذاته أيضًا. ولهذا أنكر بعض العلماء الذين يتحفظون تحفظًا كاملاً على العلماء الآخرين من أهل السُنة أن قالوا: إنه ينزل بذاته قالوا: لاتقل بذاته ما قاله الرسول-صلى الله عليه وسلم-"استوى على العرش"صرحَ بعض العلماء بالقول إنه استوى بذاته على العرش ؛ وقال آخرون من المتحفظين قال:لاتقل بذاته اللهُ ما قال بذاته.فيقول ابنُ القيم:هذا خطأ كلُ شيءٍ أضافه اللهُ إلى نفسهِ فإنما هو إلى ذاته ولاحاجة أن يَذكر الذات لأن هذا معروفٌ ولهذا لم نقل خلق السمواتِ بذاته خلق الأرض بذاته أنزلَ المطرَ بذاته لاحاجة لأن المعروف أن الشيءَ إذا أُضيفَ إلى الشيءِ فهو إلى نفس الشيء. "وهومعكم"كذلك مثل هذا الشيء نقول هو معكم نفسُه؟ سبحانه وتعالى معنا لكن لانقول إنه معنا في الأرض مختلطًا بنا هذا كفرٌ ؛و لكن نقول هو على عرشه وهو معنا حقيقةً مافيه إشكال والحمدُ لله.

وقول المؤلف:"لا تناقض فيه"التناقض هو أبلغ لأن الاختلاف قد يمكن الجمع فتجده يختلف من وجه دون آخر.والمراد من ب قوله تعالى "أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا"[النساء:82] ، ما يشمل هذا أما الاختلاف الظاهري الذي يمكن الجمع فهذا لايسمى اختلافًا في الحقيقة.

يوجد أشياءٌ في القرآن ظاهرها الاختلاف مثل " يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثًا "[النساء:42] ؛ ومع ذلك يقولون "وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ "[الأنعام:23]، فهذا ظاهرها الاختلاف لكن يمكن الجمع بينهما فيزول هذا الاختلاف.

المسألة على التناقض أنه لايمكن الجمع فإذا أمكن الجمع فليس بمتناقض حتى وإن كان ظاهره الاختلاف ولهذا يُعَبِّرُ العلماء فيقولون: ظاهره التعارض.

المتن

2-القسم الثاني: يقولون : أن المعية في كل مكان بذاته وأن اللهَ مع الخلق في نفس أمكنتهم ولانقول إنه عال فوق السموات بل نقول إنه مع الخلق وليس عاليًا بذاته فيُنكرون العلو.

الشرح

وهؤلاء آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض فآمنوا بالمعية على وجهٍ وكفروا ببعضٍ ، آمنوا بها أيضًا على وجهٍ ليس مُرادًا لأن معية الله لخلقه ما أرادَ اللهُ بها أنه معهم في الأرض

أبدًا ولايمكن أن يكون هذا مرادَهُ لأن هذا باطلٌ لايليقُ بالله ولايمكن أن يكون ظاهر الكتاب والسُنة أمرًا باطلًا لكن مع ذلك فَهِموا هذا الفهم واثبتوه والعياذ بُالله.